مولانا الشيخ محمد عادل الربانى

طريق الأولياء هو تعليم الخير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

نحمد الله عز وجل أننا اجتمعنا مجددًا. يجب علينا دائمًا شكر الله ﷻ؛ لأنه يمنحنا فرصة التواجد مع عباده الصالحين. يجب أن نكون شاكرين لله ﷻ في كل دقيقة من حياتنا. كان مولانا الشيخ يقول، إن نَفَسًا واحدًا يتنفسه المرء وهو على قيد الحياة، يذكر فيه "لا إله إلا الله" وهو في مجلس ذِكر وصُحبة، خيرٌ من ألف سنة يقضيها تحت الثرى. كثيرٌ من الناس يتمنون الموت؛ فهم غير راضين عن حياتهم، بل إن بعضهم مجانين قد يُقدمون على إنهاء حياتهم أو يتمنون الموت لأنفسهم. هذا أمرٌ غير محمود؛ فكل ما يمر به المؤمن هو خيرٌ له، ولا يوجد شيءٌ سيئٌ في حياة المؤمن. فإذا أنعم الله ﷻ عليك بنعمة، عليك أن تفرح، وإذا شكرت الله ﷻ عليها، فإنه ﷻ سيثيبك ويرضى عنك. وإن ابتُليت ببلاءٍ أو واجهت صعوبةً ما، فقلت "الحمد لله"، فإن الله سيثيبك أيضًا. فما من صعوبةٍ أو أمرٍ يبدو سيئًا يقع في حياة الإنسان إلا ويكون وراءه أجرٌ وثواب. لهذا قال نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم عجبت لأمر المؤمن؛ فهو يُؤجر في كل أحواله، سواء أصابه الخير أو أصابه الشر. لا يمر حال من الأحوال إلا ويتضمن بركة من الله ﷻ؛ فاعلموا ذلك جيدًا.

.

[تشويش صوتي]. كان مولانا الشيخ يغضب كثيرًا إذا رأى أحدًا يتحرك هنا وهناك أثناء الصُحبة؛ لذا لا داعي لذلك، فالحركة تُفسد أجواء الرحمة التي تعْمر المجلس. لا تتحدثوا؛ فما يفيض من رحمة الله ﷻ على مجلسنا هذا يكفينا. لا حاجة لمثل هذه التصرفات. إن مجلسنا هذا هو في سبيل الله؛ وسواءً استوعبتم ما يُقال أو لم تستوعبوه، فلا بأس في ذلك. الحمد لله، هناك الكثير من الناس في جميع أنحاء العالم ممن يفهمون. الحمد لله، إنهم يأتون من كل مكان، وهم سعداء، إن شاء الله. إن مجلسنا هذا يحظى بأهمية بالغة؛ لأننا نواصل طريق نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، الصحابة، أولياء الله وأهل البيت. طريقنا جميعاً هو طريق واحد. الحمد لله، لقد قطع الكثير منكم مسافات طويلة جداً؛ من الصين، الهند، تركمانستان. لقد جاؤوا من كل حدب وصوب في سبيل الله ﷻ، وسيجزيهم الله ﷻ خير الجزاء.

.

ومن الأمثلة العظيمة على ذلك: سيدنا عبد القادر الجيلاني -أعلى الله درجاته دائماً. إنه "الباز"، "حضرة الباز". وهو من أعظم أولياء الله، وقد قال "قدمي هذه على رقبة كل ولي". ربما يتساءل البعض "كيف يقول هذا! كيف تكون قدمه على رقاب مشايخنا!". لكن المشايخ أنفسهم لا يجدون في ذلك أي حرج؛ فلو لم يرضوا بهذا، لما كانوا مشايخ حقاً. لهذا السبب، قد لا يدرك الكثير من الناس الحكمة الكامنة وراء ما يقوله أولياء الله. لذلك، يجب عليكم أن تقولوا "نعم، إنه من أولياء الله العظام، نحن لا نعترض على ذلك".

.

وُلد سيدنا عبد القادر الجيلاني في "جيلان"، الواقعة شمال إيران حالياً. وقد رزقه الله ﷻ محبةَ أولياء الله ومحبةَ طلب العلم. كان والده قد توفي، فنشأ يتيماً، ولم يكن معه سوى والدته وأخيه. قال لأمه "أريد أن أذهب لأكون بصحبة أولياء الله، لأتعلم منهم، وأتقرب إلى الله ﷻ". قلقَتْ أمُّه قليلاً وتساءلت "كيف ستذهب؟" وما إلى ذلك، لكنه أصرَّ على طلبه. فقالت له: "حسناً. لقد ورث والدك ثمانين ليرة ذهبية، سأعطيك أربعين منها، وأعطي أخاك أربعين". وضعت القطع في سترته وخاطتها بإحكام حتى لا تُسرق أو تسقط. انطلق ضمن قافلة متجهة إلى بغداد؛ التي كانت في ذلك الوقت حاضرةً للعلم وموطناً لكثير من أولياء الله. وفي الطريق، اعترضت القافلةَ مجموعةٌ من اللصوص -كان عددهم ستين أو ستة وستين لصاً- فهاجموا القافلة وسلبوا كل ما كان بحوزة الناس. اقترب أحد اللصوص منه وسأله "ماذا تحمل معك؟" فأجاب "معي ذهبٌ داخل سترتي". نظر إليه اللص؛ فقد كان يبدو صغيراً ولا يبدو عليه الثراء، فظنَّ أنه يمزح وتركه. لكن لصوصاً آخرين اقتربوا منه وطرحوا عليه السؤال ذاته، فأجابهم بالجواب نفسه. حينها أخبروا زعيمهم بما قاله الفتى، قائلين: "ربما كان يمزح معنا!"، فأمرهم الزعيم "فتِّشوا سترته". ففتحوها ووجدوا فيها أربعين ليرة ذهبية. سألوه "لماذا أخبرتنا بالحقيقة؟ كان بإمكانك الاحتفاظ بها لنفسك!"، فأجابهم: "لقد عاهدتُ أمي أن أقول الصدق دائماً". لقد قطعتُ عهداً على نفسي بأن أقول الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، دون أن أخفي شيئاً". عندما سمعوا ذلك، قال زعيم اللصوص "يا للعجب! هذا الفتى يخشى الله عز وجل ويخشى أمه، وهو لا يكذب! إنني أتوب إلى الله وأستغفره، وسأعيد كل ما سلبته من هؤلاء الناس". وقال

مولانا الشيخ محمد عادل الربانى

اللصوص الآخرون أيضاً "لقد تاب زعيمنا؛ فقد كان استاذنا في سرقة الناس، وأصبح الآن استاذنا في التوجه إلى الله عز وجل". ببركة سيدنا عبد القادر الجيلاني، تحول أولئك الستون جميعاً إلى أناس صالحين، وقبلهم الله ﷻ.

.

هذا هو طريق الأولياء: تعليم الناس الخير، الابتعاد عن سرقتهم أو خداعهم أو إلحاق الأذى بهم. الحمد لله، هو من كبار أولياء الله، وقد تلقى العلم على يد سيدنا يوسف الهمداني. وتقع "همدان" بالقرب من "جيلان" - وإن كانت اليوم تبدو بعيدة نوعاً ما، فهي مدينة مختلفة. وكان يوسف الهمداني هو شيخ أحمد الياسوي. ربما لم تسمعوا الكثير عن سيدنا أحمد الياسوي هنا، لكنه رجل عظيم؛ فقد كان لديه مئة ألف مريد، وعاش 126 عاماً. وعندما بلغ الثالثة والستين من عمره، حفر تحت منزله وأقام في ذلك المكان تحت الأرض، قائلاً: "لم يبقَ النبي ﷺ على وجه الأرض بعد بلوغه الثالثة والستين، لذلك لا ينبغي لي أنا أيضاً أن أمشي على الأرض". وهكذا، قضى 63 عاماً تحت الأرض، متخذاً من ذلك المكان زاويةً للعبادة، ولم يصعد إلى السطح قط.

.

كما ذكرنا، كان لديه مئة ألف مريد انتشروا شرقاً وغرباً - ومعظمهم اتجهوا غرباً - لا شك أنهم وصلوا إلى هذه المنطقة أيضاً؛ فببركة هؤلاء المشايخ، كانوا ينشرون الإسلام أينما حلّوا. لقد عمل هو ومريدو سيدنا عبد القادر الجيلاني على فتح قلوب الناس. عندما وصل الجيش الإسلامي، كان الناس بانتظارهم ليضعوا حداً للظلم الذي كانوا يعانون منه؛ فاستقبلهم الناس بفرح، ولم يفرّوا من البلاد، ولم يقم المسلمون بطردهم منها. فالإسلام دين رحمة، والطريقة -على وجه الخصوص- تركز على تعليم الناس التحلي بالرحمة تجاه الآخرين. وتتجلى هذه الرحمة في تقديم القدوة الحسنة لهم، والسعي ليكونوا من أهل الجنة. هذه أعظم رحمة يقدمونها للناس.

.

لقد اهتدى كثير من الناس على أيديهم. أما أولئك الذين يعادون "الطريقة"، أو لا يوقرون نبينا ﷺ، أو لا يحترمون أولياء الله والصحابة وأهل البيت، فهم لا يقدمون أي خير للإسلام؛ بل إنهم يتسببون باستمرار في إثارة المشاكل للإسلام، وينفرون الناس منه. ولهذا السبب تكتسب "الطريقة" أهمية بالغة. وانظروا كيف يخدم أولياء الله العظام -هؤلاء الرجال الأجلاء- الإسلامَ في مشارق الأرض ومغاربها، وكيف يقودون الملايين بل المليارات من البشر نحو الجنة، بدلاً من تنفيرهم من الإسلام. إنهم يقرّبون الناس إلى الإسلام، بينما لا يقدم أولئك الذين يعادون "الطريقة" و"الشريعة" أي نفع يُذكر. لقد خُدع كثير من الناس بهم؛ لماذا؟ لأنهم مخادعون وكاذبون. وفي طريقتنا -بل في الإسلام عموماً- لا مكان للكاذبين. نبينا الكريم ﷺ يقول إن المسلم قد يسرق أو يرتكب أخطاءً أخرى، لكنه لا يمكن أن يكون كاذباً. إن الكذب صفة ذميمة للغاية؛ أسوأ ما قد يتصف به أي إنسان هو الكذب، فكيف إذا كان هذا الإنسان مسلماً. لا ينبغي للمسلم أن يكون كاذباً أبداً. وهؤلاء القوم -الذين يعادون الطريقة، المذاهب، الشريعة والعقيدة- كاذبون مئة بالمئة. إنهم لا يستطيعون هداية الناس إلى الطريق الصحيح، بل يدفعونهم للابتعاد عنه وسلوك الطريق المعاكس؛ فيقودونهم لا إلى الجنة، بل إلى جهنم. هذا هو طريقهم، طريق الشيطان. فقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة أن الشيطان يأخذ أتباعه مباشرةً إلى جهنم.

.

نسأل الله عز وجل أن يحفظنا ويحفظ الأمة من هؤلاء الناس، وأن يقيَ العبادَ شرَّ الوقوع في خداعهم؛ فهم في الحقيقة أناسٌ في غاية السوء. الله ﷻ يعيننا، إن شاء الله. الله ﷻ يبعث ذلك الشخص الذي بشّر به النبي صلى الله عليه وسلم، وهو سيدنا المهدي عليه السلام، ليُطهّر العالم. فالعالم اليوم يعاني من نجاسة روحانية، بل كل شيءٍ فيه بات ملوثاً؛ فلا تكاد تجد شيئاً صالحاً، وكل ما حولنا يبعث في النفوس شعوراً بالسوء. لأن هذه النجاسة لا يمكن تطهيرها إلا على يد سيدنا المهدي عليه السلام. كيف سيتحقق هذا الطُهر؟ لقد وعد الله ﷻ نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم بأن العالم بأسره سيدخل في الإسلام، والمسلمون أهل طهارة؛ فسيصبح كل شيءٍ طاهراً. وإن شاء الله، نحن لسنا ببعيدين عن ذلك الزمان، فكل شيءٍ قد بلغ نهايته. الله ﷻ يعيننا. وأن يبلغنا جميعاً ذلك الوقت، إن شاء الله. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
21 تشرين الأول 2026/ 10 جمادى الأولى 1448
كوالالمبور، ماليزيا